مجلة جامعة الملك سعود، م ٣، الآداب (٢)، ص ص ٦٠٣ - ٦٢١ (١٤١١هـ/١٩٩١م).

غياب الطفل عن حياة الأسرة: النتائج والبدائل

إبراهيم محمد خليفة

أستاذ مشارك، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(ورد بتاريخ ١٤٠٩/٨/٢١هـ، وقبل للنشر بتاريخ ١٤١٠/٥/٧هـ)

ملخص البحث. يدور هذا البحث حول ظاهرة غياب الطفل عن بعض أو كل مراحل دورة حياة الأسرة، بسبب عجز الزوج العقيم والزوجة العاقر — أحدهما أو كليهما — وفشلهما في إنجاب طفل خاص بهما. إن بعض الأزواج يفشلون في ذلك وقد يستمر فشلهم لبضع سنوات أو يبقى معهم طوال حياتهم الزوجية، والبعض الآخر من الأزواج ينجبون أطفالاً يموتون وهم في عمر الزهور فلا يكاد يعيش لهم طفل، وآخرون ينجبون عددًا محدودًا جدًّا من الأطفال تاركين الأمر بغير تدخل أو متدخلين باستعمال وسائل تعويق الحمل، وتلك الفئة من الوالدين لا تكاد تستمتع بحياة الوالدية: «الأبوة» و«الأمومة» إلا لفترة محدودة تنتهي بخروج آخر ولد أو بنت بعد التخرج من التعليم أو الزواج، وعندها يعود الأبوان سيرتهم الأولى: زوجين بلا أطفال يقضيان ما تبقى لهما من العمر وجها لوجه في «العُش الخالي» مأوى الأسرة الزواجية النووية الحديثة.

والهدف من هذا البحث هو الإشارة إلى بعض مستتبعات مرحلة ما بعد الوالدية من مراحل الحياة الأسرية وانعكاساتها على الآباء الذين لا يزالون في سنوات العمر الوسطى. كما أن هذه الدراسة تقترح إطارًا نظريًّا مرحليًّا لما يقوم به هؤلاء الآباء عادة أو ما يتوقع أن يلجأوا إليه لكي يتغلبوا على معاناتهم خلال تلك الفترة الحرجة. ومن الأشياء التي ذكرت في هذا المجال التبني، والتكافل، وإمكانية كفالة وتربية الأحفاد والحفيدات، والآثار الإيجابية والسلبية المترتبة على تنظيم النسل وتحديده، وهذه الأخيرة لا تزال تتطلب المزيد من التحري.

مقدمـــة

الأطفال . . . كيف نعتني بهم، وكيف نربيهم، وكيف ندخلهم إلى عالم البالغين؟ كان هذا الأمر، ولا يزال، الشغل الشاغل للآباء بصفة خاصة وللمجتمع بصفة عامة. وعلى الرغم من الملاحظة المعتادة المتكررة بأن أطفالنا هم غدنا، بينما نعتبر نحن أطفال الأمس، إلا أن البـاحثين والمؤرخين — تقليديًّا — لم يولوا إلا انتباها ضئيلاً للأبعاد التاريخية للطفولة، وبالتالي فقد تصوروا مفهومًا للطفل يوحي بأنه «شيء» مستقل سلبي، أو أنه «موضوع» يُجرى عليه مجتمع البالغين جهودهم لتربيته وتعليمه، مع أن لحظة تبصر ستنبىء أي بالغ — لا يكتفي بمجرد الاتصال العابر مع الطفل الصغير — أن الطفل بإمكانه أن يمارس نفوذًا ذا آثار قد تكون محدودة وقد تكون قوية جدًّا على سلوك الكبار.

إن الـطفولة لم تُبحث وتُستقصى عبر التاريخ لتأكيد كيف كان الأطفال في الماضي يؤثرون على والديهم، وعلى مُربِّيهم، وعلى المجتمع.

وكـما نفحص معـاملة المجتمعـات لأطفـالهـا، فإنـه يتحتم علينـا أن نوسع مجال استقصاءاتنا لكي تشمل وتأخذ في الاعتبار آثار الأطفال التي تستثير الكبار.

إننا نتوقع أن يؤثر الآباء على أطفالهم، والناس الذين يعيشون معًا — عادة — يؤثر كل منهم في الآخر ويتأثر به.

ولكن الشيء الذي يسترعي انتباهنا وقد نغفل عنه أو نتغاضى عنه، هو الحد الذي يصل إليه تأثير الأطفال على آبائهم وعلى الكبار الآخرين.

وهناك مؤشرات تدل على أن نسبة العقم في جميع أنحاء العالم آخذة في الازدياد، وأن هذه النسبـة ربـما تشمـل حوالي ٢٠٪ من كل الزيجات، وأيًا كانت درجة مصداقية هذه النسبـة، فإن هذا لاينفي أنَّ وحدات الخصوبة وأطفال الأنابيب تنتشر في المستشفيات، وتقدم مزيدًا من الخدمات للذين يعانون من عدم الإنجاب، في حدود التعاليم التي أجازها

المجمع الفقهي الإسلامي في دورته الثامنة[١] حول الحمل الصناعي وأطفال الأنابيب. وبدأت تعقد الندوات العلمية حول الموضوع مؤكدة أهميته وحيويته.

وقد دللت بعض الدراسات على وجود أثر سلبي لغياب الأب في تطور شخصية الطفل، وأن هذا الأثر يظهر بشكل نمو غير طبيعي لقدرات وعادات الفرد الرجولية والجنسية والاجتماعية والفكرية،[٢] كما نشرت بحوث أخرى حاولت أن توضح كيف يتأثر الآباء، ومختلف الذين يقدمون الرعاية للصغار، بالأطفال الذين يقومون بتنشئتهم، وخلصت إلى أن الكبار يتلاءمون مع الصغار بشكل يصعب تحليله، تمامًا كما يفعل الصغار بالنسبة للكبار.

ومهمة هذا البحث هي محاولة تحديد مدى تأثير الأطفال على آبائهم، ثم مدى انعكاس ذلك على محركات «ديناميات» التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة، وذلك بقصد استخلاص الأثر أو الآثار المترتبة على غياب الطفل تمامًا عن الوسط الأسري، ونعني بذلك حالة الأسرة غير المنجبة، أو الأسرة التي لا يعيش لها أطفال، وكذلك الأسرة بعد خروج الأبناء والبنات، أي في مرحلة ما بعد الوالدية.[٣]

الوجه الآخر للتنشئة الاجتماعية

قد يتراءى لنا أن كثيرًا من المشكلات الإنسانية لها حلول، وقد نرى أن هذه الحلول بسيطة، ولكنها غالبًا ما تكون خاطئة، والدليل على ذلك أن الأبحاث الخاصة بالتنشئة الاجتماعية قد دأبت لعدة أجيال متعاقبة على ملاحقة وتتبع حل بسيط براق لمشكلة التطور

---

(١) انظر: *قرارات مجلس المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، الدورة الثامنة* (مكة المكرمة، ربيع الآخر ١٤٠٤هـ)، ص ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) محمد زياد حمدان، «غياب الأب وأثره في تطور شخصية الطفل،» *مجلة الباحث*، ع٥ (بيروت، ١٩٨٣م)، ص٩١.

(٣) يُقصد بمرحلة «ما بعد الوالدية» مرحلة خلو عُش الزوجية من الأبناء والبنات، وهي مرحلة مميزة للأسرة الغربية وليست بالضرورة حالة يمكن تعميمها على سائر المجتمعات.

الإنساني، خلاصته أن معظم خصائص الطفل وصفاته، إنما تأتيه عن طريق سلوك والديه، وأن الأب هو الممثل أو الوكيل الأولي أو الاستهلالي للثقافة، وأن الطفل ما هو إلا أداة للتثقيف، وذلك لأن الطفل البشري يبدو لا حول له ولا قوة بالمقارنة بصغار المخلوقات الأخرى. وبالنسبة للملاحظ الذي لا يبدي انتباها للآثار التي تنعكس على الوالدين، فإن الطفل يبدو في كل شيء محتاجًا للحماية والإعالة ثم للتكوين والتشكيل والتطوير بواسطة الوالدين.

وعندما نستقرىء تاريخ الشعوب والمجتمعات يتضح لنا أنه ليس من الميسور أن نتهرب من التبسيط المفرط، وعندما تنصب نظرتنا على التعقيد الكامل لعملية التنشئة الاجتماعية البشرية، فإن من الضروري أن نقدر تمام التقدير أنه لم يعد مهمًا أن نتخذ مواقف متطرفة بالنسبة للقابلية للتطويع والتطبيع لدى الأطفال، بحيث نجد أنفسنا غير قادرين على معرفة كيف يربي الأطفالُ والديهم، وأن قيمة الزواج لا تتمثل في كون البالغين ينتجون أطفالاً، وإنما في كون الأطفال ينتجون آباءً راشدين.(٤)

ولكن يصبح من غير الممكن أن نتقبل إمكانية مساهمة الأطفال في مسار تطوير وتغيير النسق الاجتماعي «الوالد ـ الطفل» بدون الإشارة إلى تلك الفترة في تاريخ علم الاجتماع وعلم النفس التي كان التفكير خلالها يضع الغرائز في كل نمط من أنماط السلوك الإنساني، والتي كانت تفترض وجود عوامل أو محددات «بيولوجية» لتفسير الاختلافات على كل المستويات القومية والعرقية والفردية.

ونوجز هنا بعض الاتجاهات أو النزعات التاريخية التي ما زالت تلقي بثقلها وتأثيرها على نظريات التنشئة الاجتماعية الحالية، ومثال ذلك التحول من النماذج «البيولوجية» المفرطة في التعميم إلى السلوكية الجذرية المتطرفة خلال الثلاثينيات، والتي أدت إلى تأكيد متزايد على أهمية طبيعة المحيط أو الوسط في تحديد التغيرات التي تعتري السلوك، وقد كانت

(٤) انظر: Peter De Vries, *The Tunnel of Love* (Boston: Little Brown, 1954), p. 98.

خصائص الوليد الذاتية — بخلاف الصحة — غير ذات أهمية لدى واتسون[٥] الذي أغفل الحقيقة القائلة بأن الصغير إنما هو جزء من الوسط المحيط بالكبار وبالوالدين، ولذلك فمن الواجب تقبلهم كمصدر للعديد من المثيرات أو المنبهات، وعلينا أن نكون مهيأين لتقبل وقوع ضبط واقعي ومادي وأساسي لسلوك الآباء بواسطة الأبناء.

وتشير الأبحاث الحديثة التي يجريها مهتمون في مجال التنشئة الاجتماعية إلى أن القائمين بها يصطدمون بمؤشرات تدل على وجود تأثير للأطفال على الوالدين،[٦] ويؤكدون على أهمية النماذج المزدوجة في معالجة التفاعلات الاجتماعية،[٧] وهم عندما يركزون في بحوثهم على الآثار ذات الاتجاه الواحد من الوالدين نحو الأطفال، فإنهم يقصدون بذلك رؤية ما قد تستخلصه تلك الدراسات علمًا بأنه لا يتوافر في متناول أيديهم أو تحت تصرفهم منهج أو مناهج واضحة قادرة على عزل آثار الأطفال على ذويهم من الكبار، ولا نحسب أنهم يقصدون الإغفال النظري لقيمة المثيرات الناتجة عن وجود الأطفال. ولذلك فإن انضباط سلوك الوالدين بواسطة الأبناء يجب أن يأخذ مجراه كجزء من التوقع العام للباحث الاجتماعي النفسي المعاصر، والذي يقول إن معظم السلوك يتعرض لضبط جزئي ناتج عن بعض المثيرات stimuli التي توجد خارج الكائن.

إذن، فبالإمكان أن يتغير الوالدان، وغالبًا ما تؤدي خبرات الأبوة والأمومة إلى مواقف جديدة وفهم جديد، ومثال ذلك أن الوالدين عندما يصبحان أكثر خبرة، تحدث تعديلات على مفاهيمهما بالنسبة لما يتوقع من الطفل، ويكون أكثر معقولية في حدود مرحلة عمرية معينة، وبالتالي فإن الوالدين يعدلان من نفسيهما لكي تصبح تربيتهما لطفلهما أكثر ملاءمة.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الوالدين يصبحان أقل قلقًا، وأكثر انعطافًا وتعاطفًا، ومن المحتمل أيضًا أن يمارسا ضبطًا أكثر حزمًا وأكثر تماسكًا.

---

(٥) انظر: J.S. Watson, "The Development and Generalization of Contingency Awareness in Early Infancy: Some Hypotheses," *Merril-Palmer Quarterly*, 12 (1966), 123-35.

(٦) انظر: V. Nowlis, "The Search for Significant Concepts in a Study of Parent-Child Relationship," *American Journal of Orthopsychiatry*, 22 (1952), 286-99.

(٧) انظر: R.R. Sears, "A Theoretical Framework for Personality and Social Behavior," *American Psychologist*, 6 (1951), 476-82.

وفيما وراء الخبرة، نجد أن المكانة والوضع المعيشي للوالدين، يؤثران على تنشئة الطفل، كما أنهما يؤثران أيضًا على الوالدين، فمثلاً الوضع المعيشي الإيجابي للوالدين يجدد ويعضد معنويات الوالدين، ويحافظ على بقاء أدائهما على مستوى عال، كما يجعلهما أقل تعسفًا وأكثر تواصلاً وتفهمًا وتجاوبًا وتعاطفًا.

وبانتقال الأطفال داخل الأسرة من مستوى نمو إلى مستوى آخر، تصبح الحاجة ملحة إلى تكريس جوانب أخرى مختلفة من خبرات الوالدين. وبناء على ذلك، فإن الموقع التفاعلي الأسري، يمثل موقعًا يواصل كل المساهمين فيه التكيف وإعادة التكيف، والتلاؤم وإعادة التلاؤم، فيما بينهم، وتجاه بعضهم البعض طوال مسيرتهم وتقدمهم خلال دورة الحياة.[٨] ويعتبر وجود الطفل في الأسرة دعامة من الدعامات التي تضفي على الوجود الأسري معنى وغاية، وتشبع الاحتياجات المتغيرة والمتجددة للزوجين خلال مراحل دورة الحياة الأسرية المتعاقبة.

معوقات الدور وعدم الإنجاب والتبني

إن غيبة الطفل تعني غياب عنصر ليس فقط ضروريًا وفعّالاً في كل مرحلة من مراحل دورة حياة الأسرة وإنما له أيضًا أثر خطير على نمو العلاقات الأسرية بين الوالدين وتطورها، ومن ثم فإن غيبة الطفل تمثل معوقًا لا إراديًا لعمليات التوافق النفسي والاجتماعي فيما بين الزوجين، تنعكس آثاره على علاقاتهما الاجتماعية خارج نطاق الأسرة، وما لم يجد الزوجان من السبل ما يعوضهما عن هذا النقص أو يساعدهما على تخطي هذا العائق، فإنهما قد يعيشان أزمة توافق تعاني نتائجها الأسرة، ويجني المجتمع حصيلتها سلبًا أو إيجابًا.

ومن السبل التي تلجأ إليها الأسرة في بعض الأحيان كتعويض عن الإنجاب: «التبني» adoption، أو أداء أدوار بديلة في خدمة أطفال الغير.

---

(٨) انظر: Eleanor E. Maccoby, *Social Development: Psychological Growth and Parent-Child Relationship* (New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1980), p. 410.

والزوجان اللذان يدخلان حياة التبني يواجهان سلسلة من الصعاب التي يمكن أن توصف بأنها «معوقات الدور،» وهي تلك المعوقات التي تثيرها وتدعمها مواقف الآخرين تجاه عدم الإنجاب والتبني، غير أن الزوجين في مثل هذه الحالات لا يعدمان الوسيلة لمواجهة الصعاب، فهما إما أن ينكرا أن تكون حالتهما مخالفة لحالة الوالدين البيولوجيين، أو أنهما يسلمان بالفارق،(٩) كما أن النظر إلى «أُسر التبني» على أنها «جماعة أقلية» minority group له أهميته، من حيث أنه يدع المجال مفتوحًا لمواجهة المواقف والحقائق التي تترتب على التبني، وأنه يجعل الطفل المُتبنَى مُدركًا لحقيقة وضعه منذ البداية، وهذا الانفتاح والإدراك من شأنهما أن يقللا التوتر وعدم الوضوح وإمكانية عدم التكيف لدى الطفل عندما يكبر.

وفي دراسة حديثة عن الأسر غير المنجبة childless في بعض قبائل كينيا ونيجيريا، تعرض الباحث لمقارنة وتحليل العلاقة بين المعتقدات الخاصة بعدم الإنجاب childlessness والواقع الاجتماعي للكبار غير المنجبين. وقد أسفرت نتائج الدراسة عن أن هذه القبائل المتباعدة جغرافيًا والمتباينة ثقافيًا، تصف «الأبوة» parenthood بأنها متطلب أساسي للحصول على وضع البلوغ الكامل والدخول عن جدارة في عالم الكبار الراشدين elder-hood وأنه بإمكان غير المنجبين — في بعض تلك القبائل — اكتساب مكانة «الأبوة» وبالتالي مكانة الكبار من خلال «الأبوة بالتنشئة» foster parenthood أو «الأبوة بالشعائر والطقوس» ritual parenthood. بينما في قبائل أخرى في كينيا، لا يكفي هذا كله لتأكيد وضع الشخص البالغ، واكتسابه مكانة الكبار، وفي هذه الحالة يصبح وضع الكبار بدون أبناء أحياء وضعا صعبًا وغير متقبل في المجتمعات التقليدية.(١٠) وعلى العموم، فإن الكبار غير المنجبين في

(٩) انظر: L. Lambert & F. Stroather, *Children in Changing Families* (New York: Macmillan, 1980), p. 37.

(١٠) انظر: Walter H. Sangree, "The Childless Elderly in Triki, Kenya and Irigwe, Nigeria: A Comparative Analysis of the Relationship between Beliefs about Childlessness and the Social Status of the Childless Elderly," *Journal of Cross-Cultural Gerontology*, 2 (1987), 201-23.

ويلاحظ أنه بالرغم من عدم توافر دراسات أو إحصائيات عن المسلمين وممارساتهم في تلك القبائل، إلا أننا لا نستطيع أن نغفل الإشارة إلى إمكانية انعكاس أثر التصور الإسلامي على مشكلة الإنجاب في تلك المجتمعات، والذي يبيح الزواج بأكثر من واحدة، ويدعو إلى الإيمان الراسخ بقضاء الله ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ﴾ (سورة الشورى، الآيتان ٤٩، ٥٠).

المجتمعات الأقل نموًا، عليهم أن يواجهوا كلاً من الفقر والوحدة، لأنهم — على العكس من نظائرهم في المجتمعات الأكثر نموًا — أكثر اعتمادًا على ذريتهم في أعمال الرعي والزراعة، ولكي يجدوا من يشد أزرهم في سنوات الوهن، ومعنى هذا أن الدافع إلى الحصول على أطفال، توجهه وتؤكده وربما تولده اعتبارات اقتصادية عميقة الأثر في حياة هؤلاء الناس.

أضف إلى ذلك، أن الرباط المتبادل بين بلوغ الكبر والرشد من جهة، و «الأبوة» من جهة أخرى أمر موصوف ثقافيًا، وموجود في كل المجتمعات. أما «الأبوة» عن طريق «التبني» adoption فهي في المجتمع المسلم محرمة ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ ﴾.(١١)

تحديد النسل

تحديد النسل وتضييق نطاق التدريب الأسري

من الملاحظ أن الأسرة النووية الصغيرة التي تحدد نسلها، فلا يكاد يتسع نطاقها لأكثر من طفل أو طفين (من جنس واحد أو من الجنسين)، في مثل هذه الأسرة لا يكاد الابن أو الابنة يجد الفرصة متاحة لكي يحصل على المران اللازم، من أجل التعود على ممارسة علاقات التعامل واكتساب خبرات التفاعل الإيجابي البناء مع الآخرين، من الجنس نفسه أو من

---

(١١) سورة الأحزاب، الآيتان ٤، ٥. هذا وقد كان التبني معروفًا في الجاهلية عند العرب، وكان الولد المتبنّى يعتبر في مرتبة الابن الحقيقي تمامًا، فيلحق بنسب متبنيه، وجاءت الشريعة الإسلامية فقررت أن النسب لا يثبت إلا بولادة ناشئة عن علاقة غير محرمة، وحرم الإسلام التبني لأن الأبوة والأمومة «ارتباط جزئية» بحيث يكون الولد جزءًا من والديه، ولا يكون لصيقًا في الأسرة غير مؤتلف مع أفرادها، ولا يكون ذريعة لمنع ميراث أحد الأقرباء. هذا، وقد أقر الإسلام بديلا لذلك وهو «الكفالة» ووسع في نطاق الأسرة المسلمة فجعلها تمتد إلى درجات بعيدة تشمل الأخوال والأعمام وأولادهم باعتبارهم أقارب لهم حقوق وعليهم واجبات، وفي مقدمتها «صلة الأرحام،» انظر: محمد أبو زهرة، *تنظيم الإسلام للمجتمع* (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٨٥هـ)، ص ص ١٢٥ ـ ١٢٧.

الجنس الآخر، ومع من هم أكبر منه، ومع من هم أصغر منه، مما يعوق بدوره الأداء الفعّال لدور كل منهما الأسري في مستقبل حياته كأب أو كأم في أسرة الإنجاب التي يكونها بعد خروجه من دائرة أسرة الإعداد.

هذا، ويشير بعض الباحثين[١٢] إلى أن الأسرة العربية في الوقت الحاضر، تميل إلى تحديد عدد أطفالها، وخاصة بين الفئات التي حصلت على درجة معينة من التعليم، وذلك بدعوى المحافظة على مستوى معيشي مناسب لأعضائها، حتى يبدو ظاهرًا أنه كلما ارتفع دخل الأسرة نقص عدد أطفالها، والعكس صحيح، ويُرجِع بعض المحللين هذه الظاهرة إلى رغبة الفئات العليا في المحافظة على مستوى معيشي معين بالنسبة لأطفالها، غير أن هذا لا يقلل من النظرة إلى الطفل باعتبار أنه تجسيد للعلاقة بين الزوجة والزوج، وهو ما تراه الزوجة رباطًا قد يتفوق على رباط الزوجية نفسه، وحول الطفل يلتقي الزوجان في الكفاح والآمال، مهما اختلفا في أمور الدنيا الأخرى، والطفل — بالإضافة إلى ذلك — ذخيرة للمستقبل والشيخوخة، سواء كان ذكرًا أو أنثى، ولذلك فقد أجريت وما زالت تجرى دراسات علمية جادة، حول الإنجاب والعقم، على أساس أن عدم حدوث أي حمل، وفشل الزوجين في الإنجاب، خلال سنتين من الزواج يعتبر عقمًا.

طفل الأنبوب

هذا، وتختلف وسائل العلاج، فإذا كان الزوج هو السبب في العقم، فهناك بعض العمليات التي تجرى لإصلاح الانسدادات بالقناة المنوية لديه، وهناك كذلك بعض العقاقير التي تستخدم لزيادة عدد الحيوانات المنوية وزيادة حركتها. وأما بالنسبة للمرأة، فهناك الكثير من الطرق التي تعتمد على تشخيص السبب الرئيس، فإذا كان السبب يرجع إلى فشل المبيض في إخراج بويضة كل شهر بطريقة دورية فإن هناك بعض العقاقير التي تعطي لعلاج هذه الحالة، وإذا كان السبب يرجع إلى انسداد في قناة فالوب، بسبب بعض الالتهابات، فمن الممكن إجراء بعض العمليات الجراحية أو استخدام أشعة الليزر لإزالة

(١٢) سناء الخولي، *الأسرة في عالم متغير* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م)، ص ١٤٦، ويلاحظ هنا وضوح أثر الثقافة الغربية.

الانسـداد، وإذا كانت الالتهـابات قد قضت على الخلايا الداخلية في قناة فالوب، فإن حالات الحمل لا تتم إلا من خلال «طفل الأنبوب.»

وقد كان أول ميلاد لأطفال الأنابيب في عام ١٩٧٩م، وقد أصدر المجمع الفقهي المنعقد في مكة المكرمة بدورته الثامنة، (١٤٠٤هـ)، قرارًا بجواز التلقيح الصناعي الداخلي والخارجي، شريطة أن تؤخذ النطفة الذكرية من الزوج، وأن تحقن بها زوجته، أو أن توضع في أنبوب اختبار مع بويضة مأخوذة من مبيض زوجته، ثم تنقل في الوقت المناسب إلى رحم الزوجة، لتعلق في جداره وتنمو وتتخلق، ثم في نهاية مدة الحمل تلده الزوجة، وهذا هو «طفل الأنبوب» الذي حققه الإنجاز العلمي الذي يسره الله.[١٣]

غيبة الطفل والتكيف الأسري: نمو القدرات الفكرية لدى الزوجين

يقـاس نمو القدرات الفكرية والذكاء لدى الوالدين وفقًا لبعض المحكمات المتفق عليها،[١٤] ومن ذلك:

١- القدرة على الاستجابة الحقة والتجاوب الصادق.[١٥]

٢- القدرة على إجراء تفكير مجرد.[١٦]

٣- القدرة على تعلم الانضباط والتكيف مع البيئة والمحيط.[١٧]

٤- القدرة على التكيف والتلاؤم مع الأوضاع الجديدة نسبيًّا في الحياة.[١٨]

---

(١٣) محمد الوزان، «أول مركز لأطفال الأنابيب وعلاج العقم،» *المجلة العربية*، ع ٩٢ (١٩٨٥م)، ص ص ٣٩ - ٤٠. ويمكن الرجوع إلى قرارات مجلس المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي.

(١٤) انظر: Robert J. Sternberg, *Human Abilities: An Information-Processing Approach* (New York: Freeman, 1985), p. 6.

(١٥) انظر: E.P. Thorndike, "Contribution to Intelligence and Its Measurement," *Journal of Experimental Psychology*, 12 (1921), 124-27.

(١٦) انظر: L.M. Terman, "Contribution to Intelligence and Its Measurement," *Journal of Educational Psychology*, 12 (1921), 127-33.

(١٧) انظر: S.S. Colvin, "Contribution to Intelligence and Its Measurement," *Journal of Educational Psychology*, 12 (1921), 136-39.

(١٨) انظر: R. Pinter, "Contribution to Intelligence and Its Measurement," *Journal of Educational Psychology*, 12 (1921), 139-43.

٥ـ القدرة على اكتساب القدرات.[١٩]

٦ـ القدرة على تعلم خبرات والاستفادة بها.[٢٠]

وإذا كان وجود الطفل في الأسرة يساعد على نمو القدرات الفكرية لدى الزوجين الوالدين، فإن غياب الطفل يكون بمثابة معوق لهذا النمو أو معطل له، فقدرة الوالدين السويين على الاستجابة الحقة والتجاوب الصادق، في تعاملهما مع أبنائهما من منطلق الأبوة والأمومة في نطاق الأسرة البيولوجية أمر لا يحتمل الجدال، وغالبًا ما يكون ظاهرًا manifest أو خبيئًا مستترًا latent، بحسب درجة التوافق النفسي والاجتماعي والعاطفي بين الأبوين وظروفهما المعيشية.

أما نمو القدرة على إجراء التفكير المجرد لدى الزوجين في الأسرة غير المنجبة فيما يتعلق بوضع وجود طفل مقارنا بوضع غيابه، فهو أمر صعب التحقيق، لأن الزوجين اللذين لم ينجبا لم يتعرضا قط لخبرات الأبوة والأمومة حتى يتمكنا من التفكير تفكيرًا مجردًا بعيدًا عن التعاطف أو الانعطاف أو التحيز أو التجني أو الوهم.

وليس أقدر من الأسرة المنجبة ذات الأطفال على تعلم كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الانضباط والتكيف مع البيئة الجديدة والمحيط الأسري الآخذ في الاتساع. ومن الأمثلة التي تذكر هنا مثال الأم التي تستجيب ببساطة لمتطلبات التكيف بالوضع الجديد — ولو على مضض — فتقول: «لو أن زوجي هذا كان هو الرجل الوحيد في العالم لما بقيت معه كزوجة ولكنني أبقى على الأسرة من أجل الأطفال الصغار.» ومثل هذه الأم تجد العوض والتعويض والمقابل النفسي والعاطفي في تعلقها بأبنائها وبناتها، وهكذا تنضبط الحياة الأسرية، حتى في أشد حالات تعذر أو استحالة انضباطها لمجرد وجود الطفل، فما بالك بغيبته في مثل هذه الحالات؟

---

(١٩) انظر: H. Woodrow, "Contribution to Intelligence and Its Measurement," *Journal of Educational Psychology*, 12 (1921), 207-10.

(٢٠) انظر: W.F. Dearborn, "Contribution to Intelligence and Its Measurement," *Journal of Educational Psychology*, 12 (1921), 210-12.

هذا، وتمثل الحياة الزوجية للزوجين المبتدئين وضعًا اجتماعيًّا معيشيًّا طارئًا، وليس بالضرورة مطابقًا للوضع الأسري الذي مارسه وخبره كل منهما خلال تنشئته في أسرة الإعداد التي ولد فيها، إذ إن أسرة الإعداد لكل منهما كانت أسرة منجبة ذات أطفال، فإذا حدث أن أنجبت الأسرة التي يكونانها، كان الوضع الجديد مقاربًا أو مماثلًا للوضع الذي شب فيه كل من الزوج والزوجة. وأما إذا غاب الطفل لسبب أو لآخر، ولم تنجب الأسرة الجديدة، فإن الوضع يختلف تمامًا عما عايشه كل منهما في أسرة والديه، ولذلك نتوقع أن يصبح التكيف والتلاؤم مع الأوضاع الجديدة أمرًا غير مؤكد، خاصة وأن المجتمع يتوقع من الزوجين أن ينجبا، ويترقب حدوث ذلك، وغالبًا ما تربط المجتمعات — وفقًا لثقافاتها — بين الإنجاب وتمام الرجولة بالنسبة للزوج، وبين الإنجاب وتأكيد الخصوبة الكامنة بالنسبة للزوجة.

ومما سبق، يمكن أن نتبين كيف أن وجود الطفل يساعد الزوجين على اكتساب قدرات جديدة، وتعلم خبرات عملية أساسية، والاستفادة بها في واقع حياتهما، بينما تتسبب غيبة الطفل في حرمانهما تمامًا من كل هذا. ولذلك يلجأ بعض الأزواج، ربما بعد أن يمروا بمرحلة معاناة قد تستمر لبضعة أعوام، إلى اتخاذ قرار تبني الطفل أو كفالته. والطفل في هذه الحالات ليس كفوًا للطفل البيولوجي أي طفل الرحم، ولا تترتب له بالضرورة الحقوق نفسها، وهو في المجتمع الإسلامي لا يورث، وإن تكن هناك منافذ أخرى لتمكينه عن طريق الوصية أو الهبة وما إلى ذلك.

العش الخاوي حياة ما بعد الوالدية

يشار إلى الفترة الزمنية التي تنقضي من بداية تكوين الأسرة، عن طريق زواج شاب وشابة، ثم حمل وتربية وزواج أبنائهما، حتى يأتي الوقت الذي يجدان فيه نفسيهما وحيدين مرة أخرى، ثم إلى أن يحين أجل أحدهما أو كليهما، يشار إليها بكل مراحلها على أنها دورة الحياة الأسرية.

وفي بحثنا هذا، نركز على فترة الانتقال إلى المرحلة التي ينطلق فيها الأبناء إلى معترك حياة البالغين، ويستهلون حياتهم الخاصة، وهي الفترة التي تسمى «**ما بعد الوالدية**»[٢١]

(٢١) انظر: Ruth S. Cavan, *Marriage and the Family in the Modern World* (New York: Thomas Y. Crowell, 1960), pp. 28-38.

postparental ، والـزوجـان في فترة ما بعـد الـوالـدية، يكـونـان عادة في الأربعينات أو الخمسينات من عمريهما، والتغير الواضح هنا هو انسحاب المراهقين والأطفال الصغار من المجال الأسري، تاركين الأبوين ليشكلا الوحدة الأسرية مرة أخرى. فإذا أخذنا في الاعتبار أن الأجيال الحالية من المتزوجين قد تعيش متوسطات أعمار أطول من الآباء ومن الأجداد، وأنهم ـ إلى جانب ذلك ـ ينجبون من الأطفال معدلات أقل في فترات زمنية أقصر مما كانت عليه الحال بالنسبة للآباء والأجداد؛ أمكن لنا تفسير بعض التوقعات الإحصائية التي تشير إلى احتمال تزايد معـدل أعـداد الوالدين الذين سيعيشون حتى يروا أبناءهم جميعا وقد تزوجوا، كما تشير ـ أيضًا ـ إلى احتمال أن يتبقى لهؤلاء الآباء عدد سنين قد يصل إلى حوالي ربع دورة حياتهم الأسرية، وذلك بعد مغادرة آخر أبنائهم بيت الأسرة، عندما يعود العش خاويا إلا من الزوج والزوجة. (٢٢)

وفي صياغتها الكلاسيكية لفكرة المتواصلات continuities والفجوات discontinuities في التكيف الثقافي cultural conditioning أثارت «روث بندكت» Ruth Benedict مشكلة الموانع أو العوائق في البناء الاجتماعي، التي تعوق التنشئة الاجتماعية المستمرة خلال دورة الحياة، وقد بدأت بملاحظة وجود بعض الفجوات الخاصة خلال دورة الحياة، والتي تعتـبر بمثابة حقائق طبيعية لا مهرب منها، ولذلك، فكل إنسان يستجمع ويبرز قدراته الكامنة، لا بد وأن يكون أولا «ابنا» ثم بعد ذلك «والدا،» وكلا الدورين يتناقضان من النـواحي الفسيولوجية الوظائفية إلى حد كبير. (٢٣) والذي يهمنا ـ على أي حال ـ هو وجود قدر كبير من التباين في الطريقة التي يتأثر بها هذا الانتقال في مجتمعات مختلفة. وإذا انتقلنا من تركيز «بندكت» على الانتقال من حالة الطفولة إلى حالة البلوغ، إلى التركيز على حالة البلوغ إلى التركيز على الانتقال من مرحلة الاستهلاك والإعداد وانطلاق الأبناء إلى معترك الحياة، إلى مرحلة مابعـد الـوالدية، خلال دورة حياة الأسرة، ثم إذا تحولنا عن مفاهيم

---

(٢٢) انظر: Paul C. Glick, "The Family Cycle," *American Sociological Review,* 12 (1947), 164-69.

(٢٣) انظر: Ruth Benedict, "Continuities and Discontinuities in Cultural Conditioning," *Psychiatry,* 1 (1938), 161-67.

«الثقافة» و «التكيف» إلى مفاهيم «الدور» و «التنشئة»، يكون لدينا منظور نتطلع من خلاله إلى رؤية مشكلات الانتقال وأساليب التكيف مع حياة مابعد الوالدية.

ومن الناحية النظرية، يمكن أن نتوقع أن يكون الانتقال نحو حياة مابعد الوالدية أمـرا صعبا بالنسبة للأزواج في مراحل العمر المتوسطة، عندما يغادر كل الأبناء البيت، ويبقى الوالدان بلا تدريب أو مران سابق لكي يتمكنا من الاضطلاع بما يحتمه عليهما أداء هذا الدور الجديد، ويواجهان فترة من أخطر فترات الحياة، وذلك لأن الأزواج ـ في وقتنا الحاضر ـ لا يعايشون تجربة انتقال آبائهم إلى مرحلة ما بعد الوالدية، كما كان يحدث داخل نطاق الأسر الممتدة والكبيرة والمركبة، وذلك بسبب دفع الحياة الحديثة إلى الانتقال وربما الابتعاد ثم التقوقع داخل حياة أسرية نووية صغيرة، تواجه تجاربها في مراحل حياتها دون إعداد أو تدريب عملي، وربما دون توجيه نظري من أسرة الإعداد family of orientation ، وبعض الآباء يتهيأون تدريجيا إلى حد ما لليوم الذي يتزوج فيه أبناؤهم ويتركون البيت، وذلك من خلال فترات ابتعاد الأبناء وربما غيبتهم المؤقتة من أجل تلقي العلم مثلا،(٢٤) غير أن هذا الغياب المؤقت لا يمثل بحال من الأحوال المدى الكامل الذي تتطلبه إعادة التنشئة والتعود على حياة مابعد الوالدية بالنسبة للوالدين.

ومن أبـرز صفات العصر التي تقترن بالقيم الثقافية صفة التغير الذي يعتري كل شيء، والذي لايمكن تفاديه، وهو شيء طيب، فالأشياء لايمكن أن تبقى على حالها، والتغـير هو سنة الحياة منذ الأزل، وهذه الحقيقة ـ في حد ذاتها ـ تعطي الفرصة لحدوث تكييف عام يهيىء لتقبل مواقع وأوضاع جديدة مغايرة، بغض النظر عن طبائعها الخاصة، كما أنها تحتم على الـوالـدين في الأسرة أن يتوقعا وأن يتهيئا، وأن يتجاوبا، وأن يستجيبا للضرورة الـداعية إلى تقبـل وإدماج هذه الفكرة في النفس، بحيث تصبح مبدأ هاديا، وبحيث يصبحان قادرين ـ منطقيا ـ على ربطها ووصلها بدورة حياة الأسرة.

---

(٢٤) انظر: Marvin B. Sussman, "Parental Participation in Mate Selection and Its Effect upon Family Continuity," *Social Forces*, 32 (1953), 76-77.

ومن الطبيعي أن يكره الأب أن يتخلى عن ابنته عندما يحين زواجها، غير أننا نعلم أن هذه هي سنة الحياة، فالمرء لايستطيع أن يبقى على حاله كما هو طوال مراحل عمره، فالحياة تواصل مسيرتها، وهذا أمر طبيعي، وبعض الناس ـ على الأقل ـ يدركون وجود دورة حياة عامة ودورة حياة أسرية، وهم إن لم يتعهدوا فلسفة التغير، فإنهم ـ غالبا ـ يروضون أنفسهم عليها، ومهما كان المرء راغبا أو غير راغب في تقبل الأثر الشرطي لتأكيد ثقافي أساسي على التغير في حد ذاته، فإن ذلك لا يلغي وجود أنماط محددة من الخبرات التي تمد الوالدين بفرص مناسبة للتنشئة التوقعية anticipatory socialization ومثال ذلك: الرحيل المؤقت للطفل والشاب من أجل الدراسة، أو الخدمة العسكرية، أو المشاركة في بعض المعسكرات والرحلات الطويلة الأجل، وما إلى ذلك.

وهذه الخبرات الطبيعية تكون أيسر تقبلا، عندما تفاجىء الوالدين وهما في متوسط العمر، أي عندما يكونان منغمسين في شؤونهما وأشغالهما، وهما في عنفوان أنشطتهما الحياتية.

وفي ظل الأسرة الممتدة، قد يلحق الزوجان نفسيهما في مرحلة مابعد الوالدية بالأسرة الكبيرة: أسرة الإعداد، وهذا العون من الأسرة الممتدة يبدو مقللا ومخففا من الصدمة، أو الأذى الذي قد يلحق بأسرة الإنجاب family of procreation ، من جراء التفسخ أو التحلل الذي يعتريها في فترة من فترات الحياة الصعبة.

وفي نهاية المطاف، تتضاءل الأسرة، وتصبح شخصًا واحدًا، والأكثر احتمالاً هو أن يكون هذا الشخص هو الزوجة لا الزوج، وفي مرحلة الترمل widowhood هذه، غالبًا يدخل الأطفال البالغون في الصورة، متعاطفين لكي يقدموا للأم سكنًا ومأوى مع أسرة واحد منهم، مما يتيح الفرصة لقيام علاقة جديدة للجدة مع أحفادها، وهي علاقة تطوعية، ولكنها تتعرض لحساسيات شديدة،[٢٥] كما أن دور الجد أو الجدة ينحو في تطوره أن يصبح دورًا مكتسبًا achieved بدلاً من كونه دورًا موصوفًا ومقترنًا بصاحبه ascribed ومستندًا في هذه

(٢٥) انظر: B. Hess and E. Markson, *Aging and Old Age: An Introduction to Social Gerontology* (New York: MacMillan, 1980), p. 258.

الحالة إلى مكانة الجد أو الجدة، ويتوقف هذا على محاولة القائمين بالدور أن يؤسسوا وضعًا تفضيليًّا مع الأحفاد، أو رفضهم أداء الدور إلا بصورة سطحية محضة، ومن جانبهم، فإن كثيرين من الأجداد قد يقاومون فكرة استخدامهم أو استغلالهم كمربي أطفال baby sitters ،[٢٦] بينما تكون المتعة في القيام بهذا الدور أكبر، عندما يأتي الأمر طواعية واختيارًا، لا أن يؤخذ على أنه أمر مسلم به. وتشير الملاحظة العامة إلى أن انسجام الأجداد مع الأحفاد أفضل بكثير من انسجام أي منهم مع الجيل الأوسط: جيل الأبناء، ويعزو بعض الباحثين[٢٧] سلامة العلاقة بين الأجداد والأحفاد إلى تخطي الجيل الأوسط وذلك لأن العلاقات بين أعضاء الطبقات المتباعدة تكون أكثر تحررًا من الحساسية والشعور الحاد بالفروق في الأوضاع والمكانات، عنها بين أعضاء الطبقات المتعاقبة.

هذا، ويكثر الحديث عن الجدات، ويقل بالنسبة للأجداد الذكور، ربما لأن الأخيرين فيما يبدو، لا يقومون بدور واضح الأهمية حيال أسر أبنائهم وبناتهم، فأغلبية الأجداد الذكور في السن المتقدمة، يكونون لا يزالون متزوجين، ولهم منازلهم التي يديرونها، بالإضافة إلى أن أكثر الرجال في مجتمعاتنا ينشأون على أن بذل العناية بالصغار عمل من أعمال النساء.

الخلاصة

مما سبق نخلص إلى ما يأتي:

١ـ أن الطفولة لم تبحث وتستقصى عبر التاريخ لاستيضاح تأثير وجود الأطفال على ذويهم خلال عصور التاريخ، وباختلاف الزمان والمكان.

٢ـ أن البحوث والدراسات المعاصرة قاصرة في مجال التحري عن الآثار المترتبة على وجود الأطفال والتي تستثير الكبار، بينما تركز اهتماماتها حول أثر وجود الأب أو غيابه في حياة الأسرة، وأثر وجود الأبوين أو غيابهما على الطفل، من حيث نموه، وتكوين شخصيته، وسلوكه.

---

(٢٦) انظر: H.Z. Lopata, *Widowhood in an American City* (Cambridge, Mass.: Schenckman 1973), p.27.

(٢٧) انظر: George C. Homans, *Social Behavior: Its Elementary Forms* (New York: Harcourt Brace & World, 1961), p. 26.

٣ـ أن نسبة العقم في العالم آخذة في الزيادة، وأن وحدات الخصوبة وطفل الأنبوب آخذة في الانتشار لخدمة المعاقين عن الإنجاب.

٤ـ أن غياب الطفل عن الأسرة قد يأتي نتيجة لعدم الإنجاب لسبب يعود إلى أحد الزوجين أو كليهما، أو لأن الأسرة لا يعيش لها أطفال، أو بسبب خروج الأبناء والبنات في مرحلة ما بعد الوالدية.

٥ـ أن الطفل ليس مجرد أداة تثقيف بين يدي والديه، بل إنه يعيد تنشئة أمه، وأن الأطفال يربون والديهم، وأن قيمة الزواج لا تتمثل في كون البالغين ينتجون أطفالاً فحسب، وإنما — أيضًا — في كون الأطفال ينتجون آباء راشدين، وأن سلوك الآباء يتعرض لضبط واقعي ملموس ناجم عن وجود الأبناء.

٦ـ أن خبرات الأبوة والأمومة تؤدي إلى مواقف جديدة وتعديل للمفاهيم لدى الوالدين.

٧ـ وأنه لا يتوافر في متناول أيدينا منهج أو مناهج واضحة قادرة على عزل آثار وجود الأطفال على ذويهم من الكبار.

٨ـ أن غيبة الطفل قد تمثل معوقًا لا إراديًا، لعمليات التوافق النفسي والاجتماعي بين الزوجين، ما لم يتوافر لهما من السبل ما يعوضهما عن ذلك، ويساعدهما على تخطي العائق واجتياز أزمة التوافق.

هذه الخلاصة تمهد إلى الانتقال إلى الجزء الأخير من بحثنا، حيث نعرض بعض التوصيات التي يشملها تصور نظري للبدائل المقترحة والممكنة، والتي ربما يفكر الزوجان فيها، أو يلجآن إليها عندما يواجهان غيبة الطفل في البداية أو ما قبل النهاية، أو في مراحل مختلفة من دورة حياة الأسرة.

التوصيات

فيما يلي نعرض تصورًا نظريًا مستمدًا من استقراء حقائق الواقع، والإمكانات العلمية، وتطلعات المستقبل:

١ـ من الروافد التي تغذي اتجاه غيبة الطفل في مراحل مبكرة من حياة الوالدين: تحديد النسل، وقضية تحديد النسل في المجتمع الإسلامي مرفوضة، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾،[٢٨] والرسول الكريم ﷺ يحث المسلمين على التناسل والتكاثر،[٢٩] وفي هذا خير ضمان لعدم غيبة الطفل طوال مراحل دورة حياة الأسرة، بافتراض أن الزوجين منجبان.

٢- في حالة عدم الإنجاب، قد يكون الزوج عقيمًا، أو تكون الزوجة عاقرًا، أو يكون السبب خللا في التركيب التشريحي أو الأداء الوظيفي للجهاز التناسلي عند الزوجة، مما يعوق عملية الإخصاب، وفي هذه الحالة، قد يلجأ الزوجان إلى تجربة «**طفل الأنبوب**،» وقد أصدر المجمع الفقهي قرارًا بجواز ذلك.

٣- في حالة التأكد التام من عدم القدرة على الإنجاب، ربما يلجأ بعض الأزواج، بعد مرور أعوام من المعاناة، إلى التبني أو كفالة الطفل.

٤- وفي حالة الأسرة المنجبة، عندما تنتقل إلى مرحلة ما بعد الوالدية، ويخلو العش إلا من الزوجين قد يلحق الزوجان نفسيهما بإحدى أسر تي الإعداد من جانب الزوج أو من جانب الزوجة، وذلك تجنبا للأذى الذي قد يلحق بهما — أحدهما أو كليهما — من جراء التفسخ الذي يعتري أسرتهما.

٥- أما في حالة الترمل، عندما تصبح الأسرة شخصًا واحدًا، قد تتاح الفرصة للجد أو الجدة، للحياة المشتركة مع بعض الأبناء والأحفاد، وقيام علاقات جديدة بديلة مع الأحفاد ورغم الحساسيات التي تتعرض لها هذه العلاقات، إلا أن الملاحظ — بصفة عامة — أن الأجداد أكثر انسجامًا مع الأحفاد.

---

(٢٨) سورة الأنعام، الآية ١٥٠.

(٢٩) وذلك فيما رواه أنس بن مالك عن الرسول ﷺ، قال: «تناسلوا تكاثروا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة.» أورده الإمام أحمد وابن حبان والطبراني في *الأوسط*، وسعيد بن منصور بسند صحيح، انظر: عبدالله بن محمد الطريقي وصالح بن عثمان الهليل، *الفقه*، مج٣ (الرياض: التطوير التربوي بالإدارة العامة للمناهج، وزارة المعارف، ١٤٠٨هـ)، ص ١٤.

The Absence of the Child in Family Life: Results and Options

Ibrahim M. Khalifa
Associate Professor, Department of Social Studies, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. This paper deals with the absence of the child from part or the whole of family life cycle because of the impotence of one or both of the spouses.

Some couples fail to give birth to a child for a few years or for several years or for as long as their marriages last. Others have children who die in childbirth. A third category of couples are those who have only one or two children, either naturally or through contraceptives. These enjoy a limited period of parenthood which ends with the marriage of their children, and so they return to an "empty nest" for the rest of their lives.

It is the goal of this paper to indicate some of the consequences of the post-parental period of the family cycle and its impact upon parents who are still in their middle age years.

The paper also suggests a theoretical framework of what such parents usually do or are expected to do in order to overcome their sufferings through this critical period, for instance, adoption and the possibility of raising grandchildren. Birth control as a strong active or passive factor is also discussed as a factor which calls for further investigation.